 https://doi.org/10.12816/0061622

Features of Mental Health in the Islamic Educational Perspective

Reem Abdalrazaq Mohammad Abdalrazaq
Faculty of Shareaa
Yarmouk University
Reemalzoubi532@yahoo.com

Received : 19/12/2021 Accepted :31/03/2022

Abstract:

The study is concerned with clarifying the features of mental health from an Islamic educational perspective. By following the analytical descriptive approach, and the deductive approach, the study is divided into two sections according to: The first topic: the importance of mental health in the Islamic educational perspective, the second topic: the determinants of mental health in the Islamic educational perspective, and the study resulted in a number of conclusions, the most prominent of which are: The importance of mental health in the Islamic educational perspective reflects the impact of mental health on the individual and his being, where the human self is affected by the achievement of mental health in the Islamic educational conception, whether it is at the level of worldly life and the good individual acclamation through the psychological importance, or at the level of the afterlife and the good reward through the retributive importance. The extended importance of mental health in the Islamic educational perspective is concerned with the societal importance of mental health through the impact of a sound mental structure on the health of the entire society, regardless of its family, educational, religious, media, and other social organizations, as well as the cultural importance through the influence of a sound mind on the rise and renaissance of civilizations. The determinants of mental health in the Islamic educational perspective represent the system of systemic factors that frame mental health, and control its movement and course according to what was approved by the authentic religous texts, which are limited to normative determinants, influential determinants, and descriptive determinants. One of the most prominent recommendations of the study is directing researchers in Islamic psychological studies to conducting more scientific studies on the normative determinants of mental health in the Islamic educational perspective, by expanding on its axes.

Keywords: Mind, Mental Health, Islamic Education.

معالم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي[1]

ريم عبد الرزاق محمد عبد الرزاق
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة اليرموك
Reemalzoubi532@yahoo.com

الاستلام: 2021/12/19 القبول: 2022/03/31

الملخص:

تُعنى الدراسة بتوضيح معالم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؛ عبر اتباع المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وقد قسّمت الدراسة إلى مبحثين جاءت على التفصيل الآتي: المبحث الأول: أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، المبحث الثاني: محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، وقد أسفرت الدراسة عن جملة من النتائج، كان من أبرزها: تعبر الأهمية الذاتية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، إلى الأهمية الذاتية للصحة العقلية عن تأثير السلامة العقلية على ذات الفرد وكينونته، حيث تتأثر الذات الإنسانية بتحقق الصحة العقلية في التصور التربوي الإسلامي، سواء أكان ذلك على صعيد الحياة الدنيا وحُسن التزكية الفردية عبر الأهمية النفسية، وكذلك على صعيد الحياة الآخرة وحُسن الجزاء عبر الأهمية الجزائية، وتُعنى الأهمية الممتدة للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي بالأهمية المجتمعية للصحة العقلية عبر تأثير البنية العقلية السليمة على صحة المجتمع برمته، على اختلاف تجمعاته الأسرية، والتعليمية، والدينية، والإعلامية، وسواها من تنظيمات اجتماعية، وكذلك الأهمية الحضارية عبر تأثير العقل السليم في قيام الحضارات ونهضتها، وتُمثل محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي منظومة العوامل المنهجية التي تؤطر الصحة العقلية، وتضبط حركتها ومسارها وفق ما أقرته النصوص الشرعية الأصيلة، والتي تنحصر في المحددات المعيارية، والمحددات التأثيرية، والمحددات الوصفية، وكان من أبرز توصيات الدراسة توجيه الباحثين في الدراسات النفسية الإسلامية إلى إجراء المزيد من الدراسات العلمية حول المحددات المعيارية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، عبر التوسع في محاورها.

الكلمات المفتاحية: العقل، الصحة العقلية، التربية الإسلامية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأفضل المربين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يتجلى التشريف الإلهي للنفس الإنسانيّة بمظاهر عديدة، وصور شتى، ومن ذلك أن جعلها الله تعالى مكمن الحراك الحياتيّ، فهي الفاعل الأول في سياق الموجودات الكونيّة كافة؛ نظرًا لما تنظمه من مفردات متميزة، أهّلتها لأن تتقلّد المهمة الاستخلافية في مختلف أنحاء المعمورة الأرضيّة، وإذا ما تبدى العقل الإنساني في مقدمة هذه المفردات؛ حيث يُشكل أُسها ومرتكزها؛ بات لزامًا تحقيق القيادة الواعية له في مختلف الدوائر الحياتية، وعلى مستوى التفاعلات الفردية والمجتمعية، وبصورة مطردة على الامتداد الزماني والمكاني.

من هنا فقد انبرت الرؤى الفكرية على اختلاف منابتها العلمية في بلورة كينونة العقل الإنساني، حيث تنافست في تجلية أبعاده التكوينية، وإبانة وظائفه الدينامية، ويتأتى ذلك ليتسنى توفير المحاضن التربوية المؤهلة، والقادرة على الاضطلاع بالتوجيه الأمثل للبنية العقلية؛ ولعل الناظر في جلّ الرؤى العلميّة العالمية إنما يلحظ توجهها إلى البسط المُركز على المعالم التكوينية للعقل الإنساني، عبر توفير البناء الصحي والسليم له؛ وذبّ الاضطرابات العقلية ذات السمت التكويني عن الكينونة النفسية.

ولا جرم بأن التأهيل المُحكم للمحاضن التربوية الإسلامية إنما يستدعي تأطير العقل الإنساني بصفة الخصوصية، ذلك أنه يتسم بسمة التفرد في التصور الإسلامي، ولا غرو؛ إذ لا يجد المستقرئ للنصوص الشرعية جهده الجهيد؛ إلى أن يدرك الماهية الوظيفية المنضبطة للعقل المسلم، ولمّا تبدى قابلاً للجنوح والانحراف؛ غدا من الضروري بمكان تقفي الحالة الصحية والمتوازنة للعمليات التفكيرية والوحدات المعرفية، ما ينعكس بدوره على حالة السلامة المكتنفة للشخصية المسلمة، والأمة الإسلامية الحضارية على حد سواء؛ حيث تتبدى كل منهما مرهونة بمقدار الصحة العقلية بشكل خاص.

وتطّرد أهمية تقفي الصحة العقلية وفق التصور التربوي الإسلامي في الوقت الراهن، نظير ما يسود من نتاجات حديثة في العلوم النفسية

[1] هذا البحث مستل من أطروحة دكتوراه بعنوان: "الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي" للطالبة ريم عبد الرزاق، وتحت إشراف د. أسماء بني يونس، في جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

المعرفية، وكذلك ما يلحظ من تيارات فكرية متناهضة، فضلًا عن التضخم المشهود في منظومة الأدوات التربوية، ما يفضي إلى ضرورة ابتدار الضبط المنهجي لهذه المتغيرات، ومحاولة تقنينها لصالح التكوين الصحي للعقل الإنساني، عبر تخليصه من كافة الآفات والعيوب التي تكبح أدواره الوظيفية، علاوة على ضرورة توجيهه للعمل وفق الطاقة الفضلى المدخرة لديه؛ وعليه جاءت الدراسة الحالية والموسومة بـ "**معالم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي**"، والتي تحاول الباحثتان من خلالها الكشف عن حالة التوازن والاستقرار العقلي وبيانها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تنطلق مشكلة الدراسة من غياب الوعي بالمعالم المنهجية التي تساهم في تحقيق الصحة العقلية وفق الرؤية الإسلامية، انطلاقًا من الأهمية الكبيرة التي يتبوأها العقل في منظومة الأدوات الحضارية، ويتجلى ذلك عبر الحضور الكبير لمفردات العقل الإنساني في خضم النصوص الشرعية، علاوة على ذلك كثرة التوصيات العلمية التي حثّت على تناول موضوعات الصحة النفسية في الإسلام (العلوان، 2012) (زيارة، 2009)، يُضاف إلى ذلك الدراسات التي أوصت بدراسة الاستقامة والتنمية العقلية في المنظور الإسلامي (المحضار، 2018)، ناهيك عن ندرة الدراسات العلمية المعنية بالرؤية التربوية الإسلاميّة للصحة العقلية بجوانبها الإنمائية والوقائية والعلاجية؛ من هنا جاءت فكرة الدراسة.

مما سبق تتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس: **ما معالم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؟** ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. ما أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؟
2. ما محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى بيان معالم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، ويتفرع عن ذلك الأهداف الفرعية الآتية:

1. بيان أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي.
2. الكشف عن محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي.

منهج الدراسة:

بالنظر إلى طبيعة الدراسة ومشكلة البحث فإن المنهج العلمي الأكثر ملاءمة يتمثل في المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي؛ من خلال ببلورة الظاهرة المدروسة والمتمثلة بالصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، ويتأتى ذلك في ضوء النصوص الشرعية والدراسات الحديثة؛ لبلورة ملامحها الجليلة والدقيقة، عبر تحليل النصوص الشرعية والدراسات الحديثة، ومحاولة تتبع معالم الدراسة في ضوء النصوص الأصيلة والمعاصرة.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة من خلال الآتي:

1. الأهمية العلمية: تسعى الدراسة إلى تقديم رؤية علمية لموضوع الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؛ في محاولة لإثراء المكتبة التربوية النفسية الإسلامية بهذا النوع من الدراسات؛ نظرًا لمحدوديتها.

2. الأهمية العملية: تسعى الدراسة إلى إفادة الباحثين في الدراسات النفسية الإسلامية؛ حيث تعد الدراسة مرجعًا لهم، فضلًا عن سعيها إلى إفادة القائمين على المؤسسات التربوية الأسرية والتعليمية المتمايزة؛ فقد تعد الدراسة موجهًا ومرشدًا لهم؛ بغية الوعي بأهمية تحقيق الصحة العقلية لأبنائها والوعي بمحدداتها، علاوة على سعيها إلى إفادة القائمين على المراكز التربوية الريادية من جهة، وكذلك المراكز النفسية الإرشادية في الجهة المناظرة، حيث تسعى لأن تبلور لهم المحددات والأطر التي تنعكس على القوامة العقلية بصورته الوظيفية؛ ليتنسى لهم تقفي السبل الموائمة للارتقاء بأبنائهم من حالة المرض إلى حالة الاستقرار والتوازن العقلي.

مصطلحات الدراسة:

الصحة العقلية: وهي: "انسجام الأفراد مع أنفسهم، وقدرتهم على امتلاك أحكام سليمة عن الآخرين، والقدرة على مواجهة مطالب الحياة" (shabeb, 1991).

الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي: حالة من الاستقرار والتوازن التي تكتنف العمليات والأنشطة الفكرية، وما يتمخّض عنها من مفاهيم وقواعد وسواها من وحدات معرفية؛ وما تعكسه من سلوكات عملية متوافقة مع التوجيه الإلهي؛ لتحقيق السعادة والارتقاء في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

النسبية: التفاوت الملموس والملحوظ في حالة السواء والانحراف التي تعتري العقلية المسلمة، إذ تتمايز في الذات الإنسانية من فرد لآخر، ومن وقت لآخر (Al-Kilani, D.T.) (Al-Zoubi, 2017)

محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي: منظومة العوامل والضوابط التي تؤطر الصحة العقلية، وتضبط مسارها وفق التصور الإسلامي.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على التأصيل لموضوع الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؛ من خلال الآيات القرآنية الكريمة، دون التوسع في تناوله من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، والتراث الإسلامي الأصيل.

الدراسات السابقة:

عثرت الباحثتان على جملة من الدراسات المتقاطعة مع الدراسة

الحالية في بعض المحاور، وانطلاقًا من تراكمية العلم فيمكن عرضها من الأحدث إلى الأقدم وفق الترتيب الآتي:

أولًا: دراسة الصلاح (2021)، بعنوان: (الصحة النفسية في التراث التربوي الإسلامي): هدفت الدراسة إلى بيان معالم الصحة النفسية في التراث التربوي الإسلامي؛ ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، وخلصت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها: تتضح أهمية الصحة النفسية في المنهج الإسلامي في دورها في تكوين الشخصية الإنسانية كشخصية مستقلة، متوازنة في ذاتها، ووجهتها ومناهجها، وتقوم الصحة النفسية على أساس معرفة الإنسان لحقيقته الشاملة: خلقه، وعلاقته بالخالق، وهدفه من الوجود، كما اتفق علماء التراث الإسلامي على أن مفهوم المرض النفسي يشمل المرض النفسي الناتج عن أسباب عضوية، كما ويشمل العصاب والذهان، ومجموعة من الأمراض الناتجة عن اتباع الهوى، وتدني المستوى الأخلاقي والاقتراب من الأخلاق الرذلة.

ثانيًا: دراسة النجار (2020)، بعنوان: (التربية الفكرية في المنظور الإسلامي): هدفت الدراسة إلى بيان الرؤية الإسلامية التي تحقق التربية الفكرية للنفس الإنسانية، ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وخلصت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها: تُعنى التربية الفكرية بصياغة المنهجية التي يعتمدها العقل المسلم وفق أسس معينة، من شأنها أن تجعل النظر العقلي نظرًا سديدًا، وإصابة الحق بأكبر قدر ممكن، وتحظى التربية الفكرية وفق المنظور الإسلامي بخصوصية تمايزها عن سواها من التصورات الوضعية.

ثالثًا: دراسة اليامي (2020)، بعنوان: (المناعة الفكرية: دراسة في ضوء الثقافة الإسلامية): هدفت الدراسة إلى بيان الرؤية الإسلامية التي تحقق المناعة الفكرية للنفس الإنسانية، ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وخلصت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها: جاءت الشريعة الإسلامية بالقواعد التي تنظم تفكير العقل المسلم، ونجحت في إعادة ترتيب أولويات التفكير لدى الفرد، وتُعنى المناعة بحالة الحصانة التي تقي الفرد من الضعف، وتمنحه القوة الفكرية.

دراسة العوامرة (2015م)، بعنوان: (الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية: دراسة تحليلية):

هدفت الدراسة إلى تحليل أبعاد الأمن الفكري في ضوء النصوص النبوية، ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت المنهج التأصيلي التحليلي، وخلصت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها: الإيمان والعقيدة الصحيحة أساس الأمن الفكري، وتجسد ضوابط الأمن الفكري في السنة النبوية الركيزة الأساسية التي ينبغي الاعتماد عليها لحماية الأمة لأمنها الفكري، وأن الأمن الفكري لا يتحقق إلا من خلال حفظ الضرورات الخمس التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وأن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الأمة وتشرذمها، وتنافر قلوب أبنائها، ولا يتحقق الأمن الفكري إلا من خلال وسطيّة الإسلام وتعاليمه المتزنة، وأن ثبات العقيدة في النفوس يحدث الأثر الكبير في تحقيق الأمن الفكري لأبناء الأمة الإسلامية.

دراسة الفكي (2012)، بعنوان: (التربية العقلية في السنة النبوية: صحيح البخاري أنموذجاً):

هدفت الدراسة إلى بيان مقومات التربية العقلية في أحاديث صحيح البخاري، ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها: التربية العقلية مهمة عظيمة؛ لما لها من دور بارز في النهوض الحضاري، وللتربية العقلية في الإسلام أهداف تميزها عن غيرها لكونها انعكاسًا لفلسفة التربية الإسلامية التي تسعى لتشكيل العقل المسلم، القادر على الوفاء بالمهام الاستخلافية الموكلة إليه، وراعت السنة النبوية الجانب العقلي، وقدمت الأساليب والوسائل اللازمة والمناسبة للنموّ والتقدم المأمول.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تتفق الدراسة الحالية مع دراسة الصلاح (2020)، ودراسة اليامي (2020)، ودراسة الفكي (2012) في تناول أهمية الصحة العقلية بشكل عام، وكذلك فتتفق مع دراسة النجار (2020)، ودراسة العوامرة (2015) في تناول بعض محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، لا سيما المحددات المعيارية كمعيار الإقرار الشرعي، فضلًا عن اتفاقها مع دراسة الصلاح (2020) في تناولها للوراثة كمحدد مؤثر في تحقيق الصحة العقلية، في حين تفترق الدراسة عن الدراسات السابقة في طرح ظاهرة الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي بصورة خاصة، وكذلك في تناولها لأهمية الصحة العقلية، والعمل على تقسيمها منهجيًا إلى أهمية ذاتية، وأهمية ممتدة، والتفصيل في كل منها، علاوة على طرحها لمنظومة متكاملة من المحددات المعيارية، والمحددات التأثيرية، والمحددات الوصفية، والتي تُشكل بكليتها عوامل تحقيق الصحة العقلية في التصور التربوي الإسلامي، وهذا ما خلت منه الدراسات السابقة.

خطة الدراسة:

احتوت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة جاءت على التفصيل الآتي:

المقدمة وفيها: التمهيد، ومشكلة الدراسة، وأسئلتها، ومنهجها، وأهميتها، ومصطلحاتها، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي.

المبحث الثاني: محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي.

الخاتمة وفيها: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول.

أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي:

يُعنى المبحث الحالي ببيان أهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي؛ ولعل تجلية هذه الأهمية وتبيانها تنعكس على ابتدار تفعيل الصحة العقلية والوعي بضرورة تحقيقها في التصور الإسلامي، ذلك أن هذه الأهمية تجسد الدواعي المنهجية التي تشحذ الذات الإنسانية بصورة خاصة، والمؤسسات التربوية بصورة عامة؛ لصقل الجهود وتعاضدها لتركيز صحة العقلية المسلمة، ويجدر القول بأن تصنيف الباحثتين للأهمية وفق الأهمية الذاتية والأهمية الممتدة إنما جاء وفق "معيار الحدود التأثيرية" ما بين أهمية تؤطر في حدود الفرد، وما بين أهمية تمتد للبيئة الخارجية، وبالجملة يمكن بيان ذلك في خضم المبحث الحالي:

المطلب الأول.

الأهمية الذاتية للصحة العقلية:

يراد بالأهمية الذاتية للصحة العقلية الأهمية التي تؤثر على ذات الفرد وتقع على كينونته، حيث تتأثر الذات الإنسانية بتحقق الصحة العقلية في التصور التربوي الإسلامي، سواء أكان ذلك على صعيد الحياة الدنيا، أم على صعيد الحياة الآخرة، ويمكن بيانها وترتيبها وفق ضرورتها من خلال الآتي:

أولاً: الأهمية الجزائية للصحة العقلية:

تتبدى أهمية الصحة العقلية في أثرها على الفرد المسلم إلى الحياة الآخرة، ممّا يعني الجسامة التأثيرية للعمل العقلي القويم على الاطمئنان الجزائي للمسلم. ومما لا شك فيه أنه بالقدر الذي يخصب فيه من الصحة العقلية للفرد المسلم في الدنيا، ويسمو في مراتبها ومستوياتها، بالقدر الذي يتسنّم فيه الدرجات العليا في جنات النعيم في الحياة الآخرة (Al-Qaradawi, 1996). وتتأتى أهمية ذلك ومنطقيته كون التكليف العقلي يُشكل مسؤولية حتمية على الفرد المسلم في الدنيا، الأمر الذي أفضى إلى ضرورة المحاسبة على هذه المسؤولية من قبل الله –عز وجل– في الحياة الآخرة، من هنا كان العمل العقلي ضرورة إيمانية تستدعيها النفوس القويمة، والتي تنشد الاستقرار الجزائي، ويشكل هذا الأمر حافزًا للطاقات العقلية؛ حيث يعمل على تفتيق إمكانات العقل وعملياته المتمايزة؛ وتحقيق الاستقامة الجزائية المنشودة.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: ٩ – ١١)، قال الرازي: "والمعنى لو كنا نسمع الإنذار سماع من كان طالبًا للحق، أو نعقله عقل من كان متأملًا متفكرًا، لما كنا من أصحاب السعير، وقيل: إنما جمع بين السمع والعقل؛ لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل.. احتج من فضل السمع على البصر بهذه الآية، وقالوا: دلت الآية على أن للسمع مدخلًا في الخلاص عن النار والفوز بالجنة" (Al-Razi, Dr. T, 588) وعليه فإن العقل وما ينتجه من فهم ووعي إنما ينعكس على الجزاء الأخروي، من هنا فإن خبوّ العمل العقلي لدى الكفار ساقهم إلى عذاب النار في الآخرة؛ الأمر الذي ينذر بتساوق الجزاء مع المناشط العقلية الدنيوية، وإزاء ذلك فإن إعمال ذوي الألباب لعقولهم بالشكل السليم، إنما كان نتيجة رومهم الجزاء الأخروي المحمود، والمتمثل في جنات النعيم.

ثانيًا: الأهمية النفسية للصحة العقلية:

تُشكل النفس الإنسانية الوعاء الناظم للعقل البشري، ممّا يعني أن النفس الإنسانية المكان الدينامي الأهم المستوعب لجميع العمليات العقلية التي يضطلع بها العقل الإنساني، وعليه فإذا رمنا تعزيز العمليات العقلية السليمة، بات لزامًا تعزيز النفس الإنسانية، وتوجيه وجودها ومسارها وفق الضوابط الإسلامية المشروعة، وبصورة وظيفية، فتتأكد العلاقة الوثيقة، والآصرة الارتباطية بين الصحة العقلية والصحة النفسية من خلال الأدب النظري المتعلق بالصحة العقلية، ذلك أن مطالعة الباحثتين للأدب المتعلق بالصحة العقلية، تسوق إلى أن تضمينات الطروحات المرتبطة بالصحة العقلية إنما تتأتى لتعبر عن الصحة النفسية بصورة عامة (Khalil, D.T.) (Alwan, 2012).

وبنحوٍ عام يستنبط انعكاس الصحة العقلية على تحقيق الصحة النفسية من خلال قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾ يس: (٦٠–٦٢)، قال السعدي:.{أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليًا، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك"(Al-Saadi, 2000).

وعليه فإن التوجه إلى فعل الطاعة والبعد عن المعصية يتأتى من جملة العمليات التفكيرية والعقلية، ممّا يعني محورية العقل في تطهير النفس المسلمة وتزكيتها (abn temea, 1991)، من هنا تُساهم الصحة العقلية في الإسلام في إنشاء الشخصية السوية والمستقلة، ذات الاتزان في وجهتها، ومنهجها، وسلوكها، وقادرة على الموازنة بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة (Al-Salah, 2021)، كما تُساهم في إنشاء أفراد أسوياء يتمتعون بنفس مطمئنة قادرين على حمل رسالة الإسلام، ومساعدة الأفراد على حل المشكلات، ومواجهة المستجدات التي يواجهونها في الحياة (Sharit and Halawa, 2002)، وتحقيق الغاية من الوجود هي عبادة الله تعالى، وإعمار الأرض بما يوافق شريعته.

كما ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ**

وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13)﴾، قال ابن عطية: "والمعنى في هذه الآية أن هذه المخلوقات مسخرات على رتبة قد استمر بها انتفاع البشر من السكون بالليل، والسعي في المعايش وغير ذلك بالنهار، وأما منافع الشمس والقمر فأكثر من أن تُحصى، وأما النجوم فهدايات، وبهذا الوجه عدت من جملة النعم على بني آدم، ومن النعمة بها ضياؤها أحيانًا، قال الزجاج: وعلم عدد السنين والحساب بها" (Ibn Attia, 2001).

المطلب الثاني.

الأهمية الممتدة للصحة العقلية:

يراد بالأهمية الممتدة الضرورة الملحة التي تستدعي تحقيق الصحة العقلية؛ ليتسنى التأثير الإيجابي بالمحيط الخارجي، على اختلاف حجمه؛ ليفضي ذلك إلى تحقيق حالة من السواء والصحة، والتي تطول مفردات الوجود المتمايزة، ما يعني عدم الانحباس في فلك الفرد، ودائرة الذات، ولا غرو، إذ إن شمولية الرسالة الإسلامية إنما تستدعي هذا الإخصاب التأثيري، ويمكن بيانها من خلال الآتي:

أولًا: الأهمية المجتمعية للصحة العقلية:

يُعنى المجتمع بالتجمعات الإنسانية الصغيرة والكبيرة، والتي تكتنف العقلية المسلمة بصورة خاصة، والنفس الإنسانية بصورة عامة، الأمر الذي يجعل هذه التجمعات الإنسانية التنظيمية على درجة عالية من الأهمية، لكونها تغذي العقلية المسلمة؛ فهي الرافد الرئيس لكُنْه العمليات العقلية، والتي تحدد مساراتها الدينامية، وقنواتها المسلكية. (Sharit and Halawa, 2002).

وعلى صعيد مناظر؛ فإن الاهتمام بالصحة العقلية، والنبوغ فيها إلى أعلى مستويات السواء؛ إنما ينعكس على هذه التجمعات، من حيث تصويب معتقداتها ومساراتها، ما يعني انعكاس الصحة العقلية على صحة المجتمع برمته، فضلًا عن الارتقاء به إلى مستويات متقدمة، ولا جرم بتمايز التجمعات المجتمعية ما بين المؤسسات الأسرية، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات الدينية، والمؤسسات الإعلامية، وسواها من تنظيمات اجتماعية، والتي تفتقر بمجملها إلى العقلية الإسلامية الريادية؛ لتسديدها وتصويبها.

ويتجلى أثر الصحة العقلية على الصحة المجتمعية في قوله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (الأنعام: ١٥١)، قال المراغي: "بعد أن بيّن سبحانه لعباده جميع ما حرّم عليهم، ذكر فى هذه الآيات أصول المحرمات فى الأقوال والأفعال، وأصول الفضائل وأنواع البر" (Al-Maraghi, 1946). ولعل الناظر في المحرمات التي بسطتها الآية الكريمة إنما يلحظ بجلاء السياق الاجتماعي ومدى تأثره بالعقلية الإنسانية، وطبيعة عملياتها، فالتوجيهات المتقدمة بمجملها تدعو لإعمال العقل؛ بغية تحقيق السواء للدوائر الاجتماعية المتفاوتة؛ شروعًا بالوالدين والأولاد، ومرورًا بالأنفس المنتشرة في خضم المجتمع المسلم.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)﴾** قال قطب: "كذلك يبين الله لكم آياته عسى أن تقودكم إلى التعقل والتدبر فيها، وفي الحكمة الكامنة فيها، وفي النعمة التي تتجلى فيها، نعمة التيسير والسماحة، مع الحسم والصرامة، ولو تعقل الناس وتدبروا هذا المنهج لكان لهم شأن الطاعة والاستسلام والرضا والقبول" (Qutb, 1968). وعليه فإن تطور علاقة الزواج إلى وفاة الزوج، أو تحقق الطلاق، يستدعي بزوغ المسؤولية العقلية المسلمة لإجادة توجيه هذه العلاقة الاجتماعية.

وتأسيسًا على ما سبق جاء القول بأن الصحة العقلية للفرد، عاملًا في البناء والتشييد، وفي البذل والعطاء والقيام في حركة التنمية، وإن الشخص المريض عقليًّا يعاني من المتاعب لنفسه ولمجتمعه ككل، من هنا تحرص المجتمعات الحديثة على تحقيق الصحة العقلية والنفسية لأبنائها (Esawy, 1992)، فهي تساعد في تحقيق التعاون بين أفراد المجتمع، وتكوين العلاقات الاجتماعية السليمة، وتقليل الأفراد الذين يعانون من مشكلات عقلية في المجتمع (Ali and Sheritt, 2004). كما وأن تحقيق الصحة العقلية ينعكس على مؤسسة الأسرة، وسلامة مسار أبنائها، وكذلك على المؤسسات التعليمية، ومن ينتظم فيها (Alwan, 2012) (Al-Hayani, 2011).

ثانيًا: الأهمية الحضارية للصحة العقلية:

من المعلوم أن الحديث عن الحضارة الإنسانية ومتعلقاتها؛ يعني الحديث عن الأبعاد المادية والمعنوية التي يحققها الإنسان في خضم التواجد الإنساني، من هنا يُعد العقل الإنساني القويم أُس الحضارات الإنسانية ومرتكزها، الأمر الذي يخصب من أثره، ويجلي امتداده وتوسعه الكبير، ممّا يسوق إلى الوعي بانعكاس الصحة العقلية على تحقق حالة من الصحة والسواء التي تكتنف الحضارة الإنسانية، ولا يجد المسقرئ للتوجيهات الشرعية الأصلية جهده الجهيد إلى أن يدرك مكانة العقلية المسلمة، ودورها في سبك الحضارة الإنسانية وصوغها

بالصورة المنشودة، وفي الجهة المناظرة، كثيرًا ما يتجلى في النصوص الشرعية دور التفكير السقيم في تدمير الحضارات الإنسانية السابقة، فيُعزى هلاكها بالدرجة الأولى إلى ماهية العمليات العقلية المعلولة التي كانت تعتري أفرادها. (Hanaisheh, 2009) (Al-Najjar, 2020)

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٦٩)، قال الشعراوي: "الكتاب هو التوراة، والخلف أخذوه ميراثًا، والشيء لا يكون ميراثًا إلا إذا حمله السابق بأمانة وأداه للاحق، ولكن لأنهم أهل إفساد فلنرَ ماذا فعلوا في الكتاب؟ لقد ورثوه. وبلغ إليهم وعرفوا ما فيه... وهم بعد ذلك تركوا الأعلى وأخذوا عرض الحياة الأدنى، ويتمادون في غيهم، ويرتكبون المعاصي تلو المعاصي دون أن يدقوا باب التوبة" (Al-Shaarawy, Dr. T)

من هنا جاء القول بأن التفكير السليم سبب قيام الحضارات ونهضتها، فلا يجهل أحد أن العلم والفكر سبب نهضة الأمم وارتقائها ماديًا ومعنويًا، ولا تقاس الحضارات إلا بما لديها من أفكار تبدع في صيانة نهجها نحو المستقبل (Khalil, D.T)، ممّا يعني ارتباط الصحة العقلية بدين الأمة الإسلامية، فالصحة العقلية هي أساس ذكرها وعلوها، وسبب مجدها وعزها (Al-Zahrani, 2011). وعلى هذا الأساس لا يمكن بحال أن يتم تحقين الظاهرة العقلية، وجعل صحتها وقوامها حبيسة النفس الإنسانية، إنما تتوسع وتتمدد في القنوات الحضارية المتمايزة؛ الكبيرة منها والصغيرة، والتي تُشكل بمجملها معززات الرقي الحضاري.

ولعل الناظر في الواقع الحضاري يلحظ "**العلاقة التأثيرية التبادلية**" بين الصحة العقلية والصحة الحضارية، إذ إن طبيعة العمليات العقلية التي تضطلع بها الذات الإنسانية، وماهية مخرجات هذه العمليات، تساهم في تشكيل النمط الحضاري المتساوق مع هذه العمليات، وفي الأوان ذاته، فإن طبيعة المعالم الحضارية للدولة التي يقيم فيها الفرد المسلم، تنعكس بالضرورة على منهجية تفكيره، وسبله العقلية، وآلياته الفكرية، ومخرجاته النهائية.

المبحث الثاني.

محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي:

يُقصد بمحددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، منظومة العوامل التي تؤطر الصحة العقلية، وتضبط مسارها وفق التصور الإسلامي، وقد اجتهدت الباحثتان في تصنيفها إلى محددات معيارية، ومحددات تأثيرية، ومحددات وصفية، والتي تنصهر بكليتها في بوتقة التوجيه السليم للعقلية المسلمة، وبمعنى آخر فإذا ما نشدنا الارتقاء في مستويات السواء العقلي، والنوع عن مستويات الانحراف، تعيّن على إثره تقفي هذه المحددات، ومحاولة توجيهها بالصورة الفضلى، ويمكن بيانها في خضم المطالب الآتية:

المطلب الأول: المحددات المعيارية:

يراد بالمحددات المعيارية منظومة المعايير التي تقرر مسار الصحة العقلية ومسلكها، إذ تنضبط مجموعة الأنشطة العقلية الذهنية والعملية في فلك هذه المعايير، ممّا يعني ضرورة العكوف عليها؛ بغية الدوام في توظيفها لتحقيق حالة السواء العقلي.

ويجدر القول إنه يلحظ عدم الاتفاق على معيار موحد للسواء، والانحراف، والصحة العقلية، والمرض العقلي في التصور الغربي (Tawfiq, 2002)، من هنا تتمثل المعايير الوضعية في مجملها بالمعيار الإحصائي، والمعيار الاجتماعي، والمعيار المثالي، والمعيار الطبي عبر سلامة الأعضاء البيولوجية وسواها من معايير وضعية اجتهادية (Tawfiq, 2002) (Gaddafi, 2006).

وقبل الشروع في بسط المعايير في المنظور التربوي الإسلامي، يجدر الإشارة إلى أن المعيار هو أساس التطبيق، بيد أنه لا يتأثر بعد التطبيق، وبمعنى آخر المعيار لا يكون رهن التطبيق، فقط التطبيق يكون رهن المعيار، وهذا فقط في الشريعة الإسلامية؛ بيد أن المعايير الوضعية: (الاجتماعية والإحصائية وغيرها)، جعلت المعيار رهن التطبيق على المدى البعيد والقريب، فالسلوك الذي يُعدّ سويًا اليوم، بناءً على المعيار الإحصائي، قد تحول إلى سلوك غير سوي، نتيجة عزوف الناس عنه، وبالتالي أصبح التطبيق ونوعيته أقوى من المعيار وجودته. وهذا يدل بلا شك غضاضة المعيار، وعدم اتسامه بالاستقرار والثبات، على خلاف المعيار الإسلامي؛ والذي يتسم بالصلابة والثبات والاستقرار.

أولًا: معيار الإقرار الشرعي:

يعدّ معيار السواء الالتزام بالمنهج الإسلامي، أما معيار الانحراف فتعدي حدود الله تعالى (Tall, 2005)، من هنا تقوم الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي على مبدأ إحقاق الحق وقبوله والانقياد إليه (Al-Awamra, 2015)، والمعيار الشرعي هو معيار موافق للفطرة، والسلوك المنبثق عنه سلوك لائق (Tawfik, 2002). ذلك أن تحقيق المعيار الشرعي يؤدي إلى تحقيق التوازن، وتلبية حاجات الفرد الروحانية والمادية بصورة متوازنة، وكذلك التوازن بين تلبية حاجات الفرد وحاجات المجتمع.

ومن مقتضيات الوعي بهذا المعيار، الوعي بأن الفرق في الصحة العقلية فرق في الدرجة، وليس فرقًا في النوع (Zahran, 2005). وبمعنى آخر يراد بذلك أن الصحة العقلية والارتقاء بين مستويات السواء الصحي، وكذلك مستويات الانحراف العقلي، والانحدار في مستوياته، هو تحول في كمية الحق المطبقة، وليس في نوعية الحق، من هنا فإن معيار الحق وإبطال الباطل هو المعيار الذي يحكم الفرد،

بيد أن مدى احتكام الفرد لهذا المعيار، إنما يتمايز من فترة إلى أخرى، وبالتالي فالاختلاف في الدرجة وليس في النوع.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)﴾ (البقرة: ١٧٠–١٧١)، قال ابن عطية: والشرع هو الذي يحسن ويقبح، فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء" (Abn ateai, 2001).

كما ويستنبط ذلك من قوله تعالى: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (الشعراء: ٢٣– ٢٨)، قال السعدي: "في قوله تعالى {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} فقد أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلًا وأكملهم علمًا، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما" (Al-Saadi, 2000, 590).

وكذلك قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾** (الأنفال: ٢٠– ٢٢)، قال الزمخشري: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ أي إنّ شر من يدب على وجه الأرض. أو إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم" (Zamakhshari, 1987) الأمر الذي يجعل محكّ المفاضلة بين الأفراد والارتقاء بين مستويات السواء، وكذلك الانحدار في مستويات الانحراف، إنما يتجسد بتطبيق أمر الله تعالى، هذا ومن الضروري بمكان الوعي بأن هذا المعيار إنما يحكم بقية المعايير، إذ يُشكل هذا المعيار رحى معايير الصحة العقلية وجوهرها في المنظور التربوي الإسلامي.

ثانيًا: معيار الاطراد التوظيفي:

يُعنى هذا المعيار بمدى الاستمرارية التي يحققها الفرد في كنف النص الشرعي الضابط، عبر الدوام على تطبيق الحق، والنوء عن الباطل في واقع الحياة العملية؛ حيث يتعين جعل الممارسة العقلية الصحية عدم حبيسة اللحظة، من هنا فإن وسم الذات الإنسانية بالصحة العقلية يستدعي ضبط الذات، ومَنهجَة العقلية المسلمة ليتم العمل بمقتضيات الشريعة الإسلامية؛ طيلة سعيها الحياتي الدؤوب، ولا جرم بأن العقلية المسلمة إنما تكون معرضة لأن تجنح عن الحق حينًا، وتدنو منه حينًا آخر، فالجنوح والانحراف يقع في دائرة الممكن، وهذا لا ينافي الصحة العقلية، بيد أن المقصود هنا هو إجهاد النفس في الاستمرارية على تقفي الحق وتطبيقه في دوائرها الحياتية المتمايزة. من هنا فإن مفهوم الصحة العقلية "مفهوم مستمر وليس مؤقتًا، فلا نحكم على السلوك بالصحة بعد ملاحظتنا لجزء عابر من سلوكه، ولكن علينا أن نأخذ في الحسبان مجمل سلوكه ككل خلال فترة غير قليلة من الزمن". ممّا يعني ضرورة تفعيل معيار الاطراد التوظيفي لدى الذات الإنسانية.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)﴾** (المعارج: ٣٢–٣٥)، قال ابن عاشور: "أتبع وصف المصلين في الآية هذه بوصف الذين هم على صلاتهم دائمون، أي مواظبون على صلاتهم لا يتخلفون عن أدائها ولا يتركونها. والدوام على الشيء: عدم تركه، وذلك في كل عمل بحسب ما يعتبر دوامًا فيه، كما تقرر في أصول الفقه في مسألة إفادة الأمر التكرار (Ibn Ashour, 1984)، وإن "الديمومة على الشيء والمحافظة عليه شيء واحد" (Al-Army, 2001). ممّا يعني أهمية الاطراد التوظيفي، واستمرار السعي لتحقيق الصحة العقلية.

ثانيًا: معيار الامتداد التأثيري:

ويراد بالامتداد التأثيري مدى التطبيق الواسع، والتفعيل الممتد للتوجيهات الإلهية في واقع الحياة العملية، وفي مختلف الجوانب والأبعاد اليومية لدى الفرد المسلم، وبمعنى آخر فبالقدر الذي يتوسع فيه الفرد ويخصب من تطبيق الحق في الدوائر الحياتية الأسرية والأكاديمية والآفاقية وسواها من دوائر أخرى، بالقدر الذي يرتقي فيه في مستويات السواء العقلي، وفي الجهة المناظرة فبالقدر الذي يضيق فيه من تطبيق الحق في دوائره الحياتية المتمايزة، بالقدر الذي ينحدر في مستويات السواء والصحة العقلية.

وعلى هذا الاعتبار جاء القول بأنه "تزداد عملية التكيف وضوحًا كلما كانت العقبات التي يمر بها الفرد قوية ومعقدة وجديدة واستطاع الفرد أن يتكيف معها" (Al-Hayani, 2011). وعليه فكلما ازداد عدد الأحداث حول الفرد، وازداد تقعيدها وجدتها، واستطاع الفرد استيعابها والتغلب عليها، ارتقى بالصحة العقلية وفق التصورات الإسلامية والوضعية على السواء، بيد أن العلامة الفارقة للتصور الإسلامي هي أن تكيف الفرد مع هذه الأحداث إنما يتأتى محتكمًا للنص الشرعي الضابط، فضلًا عن ضرورة الاستيعاب الشمولي لمختلف المثيرات والأحداث الحياتية.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80)﴾** (المؤمنون: ٧٨ – ٨٠)، "(وهو الذي يحيي) النسم بالإنشاء ونفخ الروح في المضغة (ويميت) النسم بالإفناء على جهة

الانفراد والاستقلال... (وله اختلاف الليل والنهار) خلقًا وإيجادًا، (أفلا تعقلون) كُنْه قدرته وتتفكرون في ذلك"(Al-Qanouji, 1992). وعليه يتبدى تفعيل العقل ومكيانزماته في مختلف السياقات الوجودية، الوقتية منها والمكانية والظرفية، ففي جميع الأحوال يعكف التوجيه الشرعي على الأنشطة العقلية؛ ويُحسن إدارتها وتسديدها.

كما ويستنبط من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**﴾ (البقرة: ١٦٤)، قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولًا، وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانيًا"(Al-Razi, 1999, vol. 4, 152)، وقال أبو السعود: "{إن في خلق السماوات والارض} أي في إبداعهما على ما هما عليه.. {واختلاف الليل والنهار} أي اعتقابهما وكون كل منهما خلفًا للآخر... {وما أنزل الله من السماء من ماء} لاستدلال بالبحر وأحواله.. {فأحيا به الارض} بأنواع النبات والإزهار وما عليها من الأشجار {وبث فيها} أي فرق ونشر.. {من كل دابة} من العقلاء" (Abu Al-Saud, Dr. T).

ولا غرو من تبوأ هذا المعيار درجة عالية من الأهمية؛ نظير ما يشهده العالم الإسلامي اليوم من علمانية تجتاح حدوده، وتكتنف مقدراته العقلية والإنسانية، إذ يتبدى جليًا الفصل المشهود بين معالم الدين الإسلامي؛ لا سيما العبادات وبين المعاملات الحياتية التي يمارسها الفرد والتي تعدو المعيار الإسلامي وتتجاوزه؛ ليتم تأطير الدين الإسلامي في حدود سياقية ضيقة، من هنا تعين العمل بهذا المعيار؛ وجعله دلالة قيّمة على الصحة العقلية وفق التصور التربوي الإسلامي.

المطلب الثاني: المحددات التأثيرية:

يُراد بالمحددات التأثيرية منظومة العوامل التي تؤثر في تحقيق الصحة العقلية وفق التصور التربوي الإسلامي، وتضارع التربية الإسلامية التربية الغربية في هذه المحددات، من هذه إقرارها البنائي والوجودي، بيد أن التربية الإسلامية تتمايز وتختلف عن التربية الوضعية في مضمون هذه العوامل ومدلولها الداخلي، وبالجملة وبعد استقراء العوامل والمحددات المؤثرة تبين للباحثتين أنها تنشطر إلى شطرين، أولهما الوراثة، وثانيهما البيئة، ويمكن بيانها التفصيلي من خلال الآتي:

أولًا: الوراثة:

تُعرف الوراثة بأنها: "الاستعدادات العامة والخاصة الكامنة في الفرد، والتي تستجيب للمؤثرات الخارجيّة فتنشط" (Ahmed and Abdel Qader, 1980)، كما وتعرف بأنها: تلك الصفات والخصائص التي تنتقل للإنسان من الآباء والأجداد عبر ناقلات الوراثة أو ما يعرف بالجينات، وتظهر أكثر ما تظهر في الصفات الجسمية؛ الطول ولون البشرة والعينين وشكل الشعر (Al-Tal, 2006) (Essawy, 1992). ولعل الباحثتين تميلان إلى الأخذ بالتعريف الأول؛ ذلك أن الفرد إنما يرث الاستعدادات التي تعينه على التفكر والتعقل؛ بيد أن هذه الاستعدادات إنما تفتقر إلى التحفيز والتشذيب من البيئات المكتنفة له، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التكوين البيولوجي والفسيولوجي للإنسان، إنما يجسد رحى مفهوم الدراسة الحالية؛ كالحواس الخمس، والدماغ وميكانزماته، فضلًا عن الدوافع الأولية والثانوية؛ إذ تنصهر المكونات المتقدمة بكليتها في بوتقة الوراثة الجينية المقصودة هنا.

ويمكن التأسيس لمحدد الوراثة من خلال النصوص الشرعية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)**﴾ {الطارق5–7}، وكذلك قوله تعالى: **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**﴾ (الإنسان:2)، قال البيضاوي: "أَمْشاجٍ أخلاط جمع مشج أو مشج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته، وجمع النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة، وكل منهما مختلف الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو" (Al-Baydawi, 1997).

وبصورة تفصيلية فإن مفهوم الوراثة وما ينعكس به على الفرد، إنما ينظم التكوين البيولوجي للإنسان على اختلاف تفصيلاته؛ بادئ ذي بدء من الحواس الخمسة، ومرورًا بالدماغ وميكانزماته، ووصولًا إلى الدوافع الذاتية، لا سيما دوافع التعلم.

وتتجلى مكانة الحواس كأحد المخرجات الوراثية في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)**﴾ (النحل: ٧٨)، من هنا كانت الحواس الخمس والدماغ من أهم عوامل الفكر، إذ إن العملية الفكرية تنطلق في ضوء هذه العوامل (Al-Zein, 1991).

وقد ذهبت الدراسات إلى عدّ الوراثة أحد أهم أسباب المشكلات العقلية (روبرت ديجارليه وآخرون، 2004)، ويعد الدماغ وما يملكه من استعدادات للتفكير، وما يحمله من بنية عصبية، تملك القابلية للتفاعل مع المؤثرات الخارجية؛ جزءًا من محدد الوراثة (Al-Ghafri, 2018) (Ali and Sherit, 2004) من هنا فإن كل فرد من الأفراد لديه الاستعداد للمرض العقلي، ولكن تختلف نسبة مقاومة كل منهم (Zahran, 2005). وبالجملة فمتى اعتلّت مقدمة الدماغ اعتلّ التخيل، ومتى اعتلّ وسطه اعتلّ الفكر، ومتى اعتلّ مؤخره اعتلّ الذكر والحفظ (Benhamada, 2014)، الأمر الذي يدلل على مكانة الوراثة في إرساء الصحة العقلية لدى الفرد المسلم.

كما وأن الحاجات والدوافع بصورة عامة؛ كالحاجات الفسيولوجية، والحاجات والدوافع المرتبطة بعملية التعلم بصورة خاصة؛ إنما تنصهر

بكليتها في بوتقة العناصر الوراثية التي تُساهم في تحقيق الصحة العقلية بصورة كبيرة (Abdul Ghaffar, 1980) (Fahmy, 1995). إذا ما تم تسديدها وتوجيهها؛ وعليه فإن وجود الحاجات المعرفية يعدّ جزءًا من الصحة العقلية؛ فهي التي تدفع الفرد للتعلم، وخبو نشاط هذه الحاجات يفرز خللًا في الصحة العقلية؛ ويؤول إلى الأمراض العقلية المتمايزة.

ولا غرو في اعتبار الوراثة القاعدة التأسيسية الأولى التي تُشيد الصحة العقلية وتُبنى في كنفها، ولمّا كانت الوراثة عبارة عن استعدادات يمنحها الله تعالى لعباده، بات لزامًا الإقرار بحيازة هذه الاستعدادات من قبل كافة الناس، الأمر الذي يسوق إلى ضرورة تفعيلها وتحفيزها من قبل الذات الإنسانية المسلمة على اختلاف منابتها وخلفياتها البيئية.

فمن المعلوم أن النصوص الشرعية التي جاءت تخاطب العقل الإنساني؛ وتستنفر إمكاناته وقدراته، لتتجلى هذه الإمكانات والاستعدادات بصورة وظيفية واقعية، ذلك أن العدالة الإلهية تقتضي أن يحاسب الله تعالى عباده على ما وقع تحت إمكانهم وسعتهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)**﴾ (البقرة: ٢٨٦)، من هنا فمن البدهي بمكان أنه إذا ما جاء الخطاب الإلهي يحثّ على التفكر والتعقل، أن يتم الوعي بوجود مؤهلات هذا التفكر والتعقل، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)**﴾ (البقرة: ١٧١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)**﴾ (الأنفال: ٢٢)، فضلًا عن قوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)**﴾ (الرعد: ٤)، فمن العسير إحصاء النصوص الشرعية التي تحضّ على إعمال العقل، والتي تدلل بكليتها على امتلاك مقومات العمليات العقلية بصورة وراثية.

ثانيًا: البيئة:

يمكن تعريف البيئة بأنها: "مجموع الاستثارة التي يتلقاها الفرد من لحظة إخصاب البويضة في رحم الأم وحتى وفاته" (Abu Hatab, 1986). كما وتعرف بأنها: جميع العوامل الخارجيّة التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر على الإنسان منذ لحظة الإخصاب (Al-Tal, 2005) (Fahmy, 1995). وعليه فيمكن تسديد مفهوم البيئة في غضون موضوع الصحة العقلية بأنها: **المثيرات الخارجية، على تمايزها المعرفي والنفسي والاجتماعي والجغرافي والحضاري، وما تمتلكه هذه المؤثرات من قدرة على إثارة الاستعدادات العقلية التي تتوافر لدى الذات الإنسانية.**

ويجدر الوعي بأن البيئة المثالية للفرد هي التي تهيّئ للوصول إلى أحسن نمو ممكن في الحدود التي وضعتها العوامل الوراثية (Al-Qusi, 1952). ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء عن علي ﷺ: "**حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله**" (Al-Bukhari, 1999) قال ابن حجر: "والمراد بقوله بما يعرفون أي يفهمون" (Ibn Hajar Al-Asqalani, 1379). ولا جرم بأن ذلك يدلل على ضرورة تكيف المثيرات والمحفزات البيئية، مع طبيعة الإمكانات والاستعدادات العقلية، بحيث تدنو من مستوى الاستعدادات المتوافرة، وأن لا تعدوه بأي حال من الأحوال.

ولا غرو في أن ما سبق إنما يؤطر مساحة المحدد البيئي، ويضبط حدوده، وينظم سياقاته، وبمعنى آخر فإن المحدد البيئي على أهميته ومحوريته في تحقيق حال الصحة العقلية، وذبّ الأمراض العقلية عن الفرد المسلم؛ فإنه ينشط في ضوء معطيات محددة، وهي ما تملكه الذات الإنسانية من استعدادات أحرزتها بالوراثة، ممّا يعني أن عملية الاتقاء بمستويات السواء العقلي، أو الانحدار في مستويات الانحراف العقلي، إنما تعود لإجادة توظيف الاستعدادات الوراثية، فلا جرم بمكانة البيئة في الترحل بين هذه المستويات، وتستقي ذلك الباحثتان من قوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)**﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وعليه فإذا أدرجنا الحكمة كمَعْلم مهمّ من معالم السواء العقلي، وفي مستوياته المتقدمة؛ فيتبدى العطاء الإلهي للفرد المسلم لهذا المَعْلم؛ ما يعني خصوصية الحكمة لأشخاص دون آخرين، وبالجملة فإن البيئة هي المحدد والعامل الأهم والأضخم، والذي يساهم بدوره في تحديد هوية العقلية المسلمة؛ ما بين الصحة والمرض، فهي المشجب الرئيس، والمعول المحوري في هذه الظاهرة الإنسانية.

ويتم الشروع في الحديث عن البيئة الإيمانية، والتي تتبوأ درجة عالية من الأهمية، إذ إنها تؤثر ببقية الأنواع الأخرى من البيئات، والتي تُعنى بالمثيرات الإيمانية على اختلاف أنواعها، العقدية، والتعبدية، والأخلاقية، ومن النصوص التي تبرهن على مكانة البيئة الإيمانية قوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)**﴾ (البقرة: ٢٨٥)، قال قطب: "الإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور، وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة، وقاعدة الخلق وقاعدة الاقتصاد، وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا أو هناك" (Qutb, 1968).

وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)**﴾ (الأنفال: 2–3)، قال

البغوي: "قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصانا، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودًا وسننًا فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان" (Al-Baghawi, 1997).

وبالنظر إلى البيئة الاجتماعية، فإنّ البيئة الأسرية تؤدّي حجر الزاوية في هذا النوع من البيئة، والتي تساهم في تحقيق الصحة العقلية، وتتجلى البيئة الأسرية في الآباء والأجداد والإخوان، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)**﴾ (البقرة: ١٧٠)، قال القرطبي: "فاحتجوا بأنه أمر وجدوا عليه آباءهم فاتبعوهم في ذلك، وتركوا ما أنزل الله على رسوله وأمر به في دينه" (Al-Qurtubi, 1964). وكذلك قال النبي ﷺ: "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**" (Al-Bukhari, 2001). قال ابن حجر: "الفطرة الإسلام.. فمن تغير كان بسبب أبويه، إما بتعليمهما إياه أو بترغيبهما فيه" (Ibn Hajar, 1958). من هنا بالإضافة إلى ضرورة التكفل الأسري والهيئات المختصة التي تساعد المريض العقلي للشفاء، كما يجب التعاون لتحقيق الوقاية من المرض العقلي (Shabi, 2018) (Noura and Bardisi, 2015)، ممّا يعني ضرورة إيجاد البيئات الثرية، التي تدعم الدماغ وتستنفر عملياته (Alwan, 2012) (Al-Qusi, 1952), ويتعين على التربية ضخّ الأفكار والمنهجيات الجديدة، والتي تتيح بناء ناشئة تتحلى بالعقل المنهجي الذي يتأتى عن طريق التلقين؛ ليتم إفراز أجيال قادرة على التصدي للمشكلات المتوقعة (Ahmed, 2002) (Mahdi, 2020).

كما وتعدّ البيئة الطبيعية من أهم المؤثرات الخارجية التي تؤثر على الصحة العقلية، من حيث الارتقاء والنكوص على السواء، ويتمخض ذلك إزاء ما تفرزه البيئة من هواء تؤثر على الناحية البيولوجية الفكرية، علاوة على تأثير مكان البيئة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)**﴾ (يوسف: ١٠٩)، "من أهل القرى" يريد المدائن، ولم يبعث الله نبيًّا من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو، ولأن أهل الأمصار أعقل وأحلم وأفضل وأعلم" (Al-Qurtubi, 1964) (Al-Zamakhshari, 1996). وقال السعدي: "من أهل القرى الذين هم أكمل عقولًا وأصحّ آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم" (Al-Saadi, 2000, 406).

وعلى صعيد البيئة النفسية يُنظر قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)**﴾ (البقرة: ٢١٩)، قال الزمخشري: "سميت خمرًا لتغطيتها العقل والتمييز، كما سميت سكرًا لأنها تسكرهما، أي تحجزهما" (Zamakhshari). "فالعقل يتأثر بشكل مباشر في المؤثرات كالتعب والسهر وتعاطي المخدرات والمسكرات" (Manna, Dr. T). ولعل الحل في التوقف عن تصنيعها، وفي حال تعذر تحقيق ذلك فيتوجب التوقف عن شربها، أو الاقتراب من شربها.

وبالنظر إلى الأنواع البيئية السابقة، يتبدى أن سيطرة البيئة الإيمانية وما يتمخض عنها من توجيهات، على بقية أنواع البيئات الأخرى، فالبيئة الأسرية تفتقر إلى التوجيهات الإيمانية، وينسحب الحال على البيئة النفسية والجغرافية وسواها من أنواع بيئية، من هنا يمكن بيان هذه العلاقة من خلال المعادلة الآتية:

التوازن البيئي= البيئة الإيمانية * (البيئة الأسرية + البيئة الاجتماعية + البيئة النفسية + البيئة الطبيعية)

المطلب الثالث: المحددات الوصفية:

يُعنى المطلب الحالي ببيان المحددات الوصفية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، والتي تعبر عن الصفات اللازمة والخصائص الملتصقة بموضوع الصحة العقلية، حيث إنها تعبر عن هويته، الأمر الذي يدلل على هوية الموضوع وفق الرؤية التربوية الإسلامية، ويمكن بيانها وفق الآتي:

أولًا: النسبية:

تتأتى النسبية من كون العقل محصورًا بين الزمان والمكان، ممّا يعني أنه محكوم بالمعطيات النمائية، وكذلك الدلائل الحسية التي تأتي عن طريق الحواس، وعليه فإن العقل لا يتّسم بالحكم المطلق على سائر الأحداث والظواهر (Al-Daghshi, 2001).

وبصورة عامة فيقصد بنسبية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، التفاوت الملموس والملحوظ في حالة السواء والانحراف التي تعتري العقلية المسلمة، إذ تتمايز في الذات الإنسانية من فرد لآخر ومن وقت لآخر، وعليه ثمة جملة من المستويات التي تبرهن على نسبية الصحة العقلية، بادئ ذي بدء تباين الصحة العقلية لدى الفرد خلال المرحلة النمائية الواحدة، كتمايز التفكير والتعقل في مرحلة النضج، مرورًا بالمستوى الثاني والمتجسد باختلاف الصحة العقلية لدى الفرد عبر المراحل النمائية المختلفة؛ لتؤصد نسبية الصحة العقلية بالمستوى الثالث والمتجسد بتمايز التفكر والتعقل من فرد إلى آخر داخل المجتمع الواحد.

ويستنبط ذلك من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)﴾ (الأنفال: ٢)، قال البغوي: "قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصانًا، قيل: فما زيادته؟

قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودًا وسننا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان" (البغوي، 1997، ج 3، 326)، كما ويتجلى في قوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)**﴾ (البقرة: ١٩٧)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (البقرة: ٢٦٩)، قال الطبري: "(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ، يعني: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله" (al-Tabari, 2000). من هنا كانت هذه المعرفة مخصوصة لأفراد دون آخرين، ممّا يعني نسبية الصحة العقلية بين فرد لآخر.

ويجدر القول بأن التكيف المطلق لا يمكن تحقيقه؛ لأن كلًا منا يعاني من مواطن ضعف، فالتوافق العقلي مسألة نسبية (Essawy, 1992) (Ali and Sherit, 2004). وهذا على صعيد الفرد ذاته، من حيث تفاوت قدراته العقلية من وقت لآخر، كما وأن الصحة العقلية تختلف من شخص لآخر (Al-Zoubi, 2017) (Al-Kilani, D.T.). ولعل ذلك يؤكد على ضرورة محدودية العقل البشري، وصعوبة المحافظة على المستوى الفكري ذاته لديه، بيد أنه من الضروري بمكان أن يحرص المسلم على الدوران في فلك المستوى الصحي؛ وذبّ التقلبات التي تأخذ الفرد من مستويات السواء إلى مستويات الانحراف.

ثانيًا: التكامل:

ويراد بالتكامل في فلك الصحة العقلية أن يتم التوفيق والترابط المُمنهج بين العمليات العقلية المتمايزة، ويتأتى ذلك على المستوى الداخلي داخل البيئة العقلية، فضلًا عن ضرورة تحقيق التكامل بين العقل الإنساني والحواس، ممّا يعني تحقيق التكامل على المستوى الخارجي، وكذلك ضرورة تحقيق تكامل العقل مع الوحي من جهة، والتكامل مع مفردات الكون المتمايزة من جهة أخرى.

ومن النصوص التي تؤكد على ذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)**﴾ (السجدة: ٩)، قال بيضاوي: "ثُمَّ سَوَّاهُ قَوَّمَهُ بتصوير أعضائه على ما ينبغي. وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ إضافة إلى نفسه تشريفًا له، وإشعارًا بأنه خلق عجيب، وأن له شأنًا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية، ولأجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا" (Al-Baydawi, 1998, vol. 4, 220).وكذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23)**﴾ (الملك: ٢٣)، قال الشوكاني: "فذكر سبحانه ها هنا أنه قد جعل لهم ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات إيضاحًا للحجة، وقطعًا للمعذرة" (Al-Shawkani, 1994) من هنا تكاملت أدوات المعرفة الثلاثة، وإنما تتكامل لبلوغ الغاية الرئيسة وهي معرفة الله تعالى، وتتمثل هذه الأدوات بالحواس والعقل والوحي (Kilani, 1987).

ثالثًا: التراتيبية:

ويراد بذلك أن الجهد العقلي إنما يستدعي المرور في خضم تراتبية محددة، تشرع من البسيط إلى الأكثر عمقًا وفائدة، وتشرع الجهود العقلية مستوى الجهود الحسية، مرورًا في مستوى الجهود الفكرية، وصولًا إلى مستوى الجهود العملية، لتتبوأ هذه الجهود بكليتها سمة الجهود العقلية المقصودة (Ibn Taymiyyah, 1991) (Al-Omari, 2018, وبعبارة شارحة لما سبق، فإن عملية استنفار العقل وفاعليته في الكون وما يتمخض عنها من مخرجات معرفية هادفة، إنما تستدعي الجهود الجسيمة، والتي تحرك النشاط الإنساني على اختلاف تكويناته البيولوجية والمعنوية، فالجهود الحسية والفكرية تعني تفعيل الأدوات الحسية والدماغية، علاوة على تحريك مدركات القلب وتوجهاته المعنوية الإدراكية، فضلًا عن كون الجهود العملية تنصهر في التفعيل لنية الإنسان وكذلك عمله وسلوكه الظاهر والباطن، من هنا فإن تراتبية الجهود العقلية تسعى إلى تزكية النفس الإنسانية من خلال تحليتها بالسمات الريادية الباطنية والظاهرية، وتخليتها من السمات السلبية الظاهرية والباطنية.

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)**﴾ (النحل: ٦٦ – ٦٧)، قال ابن كثير: "قول تعالى: {وإن لكم} أيها الناس {في الأنعام} وهي: الإبل والبقر والغنم، {لعبرة} أي: لآية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه ورحمته... ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شرابًا للناس سائغًا (4) ، ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة، من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه؛ ولهذا امتنّ به عليهم" (Ibn Kathir, 1998) وقال البيضاوي: "أي وَمِن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه.. إنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات" (Al-Baydawi, 1997).

كما ويستنبط ذلك من قول "**حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ [ص:129]، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ**

هَوَاهُ"(Muslim, vol. 1, 128) وعليه فإن كل نكتة سوداء هي بمثابة مَعْلم من معالم مستويات الانحراف، وكلما زادت النكت السوداء في القلب، تقدم الفرد في مستويات الانحراف العقلي، وكذلك بالنسبة إلى النكت البيضاء، فبالقدر الذي يملأ فيه القلب من النكت البيضاء في القلب، بالقدر الذي يرتقي فيه الفرد في مستويات السواء العقلي.

وعلى صعيد متصل فيقصد بالتراتيبة أن طبيعة الصحة العقلية وما تنظمه من مستويات في حالة السواء الصحي، وكذلك مستويات الانحراف العقلي؛ إنما تتأتى وتتجلى بصورة تراتيبية متدرجة، فالسابق ينتظم في اللاحق؛ من حيث السمات والمعالم الصورية والدلالية للمستوى، وبمعنى آخر فإذا ما تجلت مستويات السواء في ثلاثة مستويات؛ فإن المستوى الثاني يُبنى على الأول، ويُبنى المستوى الثالث على المستوى الأول والثاني، وينسحب الحال على الانحراف العقلي، فإذا ما تجلى في مستويين؛ فإن الثاني إنما يتأسس ويُشيّد في كنف الأول، من هنا عكفت التراتيبية على ظاهرة الصحة العقلية، ومما تجدر الإشارة إليه أن طبيعة الجزاء في الآخرة وتدرجاته إنما يتأتى وفق تدرجات الحالة الصحية العقلية في الدنيا، إذ إن جنات النعيم جاءت في درجات، وذلك وفقًا لأعمال العبادة العقلية في الحياة الدنيا، ومستويات السواء العقلي، وكذلك فإن النار إنما جاءت في مستويات بناء على أعمالهم العقلية، وطبيعة مستويات الانحراف العقلية لديهم في الدنيا.

رابعًا: الإمكانية:

فمن المعلوم أن التكليف الإلهي للنفس الإنساني إنما جاء وفق إمكانياتها المتاحة، ومكنوناتها المتوافرة، ممّا يعني عدم المطالبة فيما يقع خارج دائرة الممكن والمستطاع، ويتأتى ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ (البقرة: ٢٨٦).

من هنا فإن تحقيق الصحة العقلية لدى الذات المسلمة أمر ممكن، حيث تعد من الظواهر الخاضعة للتطبيق لدى النفس المسلمة على اختلاف مكنوناتها العقلية (Saeed, 1984)، و"بتعبير آخر فإن الآيات التي جاءت في العقل وعملياته العليا، وآيات النظر والسير، والحث على القراءة والتعلم، جميع ذلك وسواه يحمل إيماءات بأن العقل البشري يمتلك من القدرة والتفاعل ما يحقق له فهمه كمقصد هام من مقاصد خلق هذا الكون، فهو يمتلك القدرة على البحث والاستطلاع والعمل والتطبيق" (Ali, 1987, 191).

ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51)**﴾ (هود: ٥١)، قال النسفي: "ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول؛ لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرًا إلا من الله وهو ثواب الآخرة" (Al-Nasafi, 1998).

كما ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)**﴾ (البقرة: ٢٤٢)، قال أبو السعود: "{كذلك} أي مثل ذلك البيان الواضح، {يبين الله لكم آياته} الدالة على أحكامه التي شرعها لعباده، {لعلكم تعقلون} لكي تفهموا ما فيها وتعلموا بموجبها" (Abu Al-Saud, Dr. T)، من هنا فقد كان الخطاب القرآني بيّنًا واضحًا ليتسنى فهمه ووعيه من قبل المسلمين على اختلاف منابتهم.

خامسًا: الاستمرارية:

تُعنى الاستمرارية بضرورة المحافظة على صحة الفرد العقلية، وبذل الجهد في سبيل وقاية الفرد من الوقوع في هوة الانحرافات العقلية، ما يعني دينامية العمل العقلي، وضرورة التحرز الدائم من التنقلات الغير مرغوبة (خطاطبة، 2020)، وبمعنى آخر فلمّا تبدّت الذات الإنسانية بصورة عامة، والعقل البشري بصورة خاصة على درجة عالية من النقص والضعف، بات لزامًا تقفي قنوات التعزيز والدعم العقلي على الدوام، ما يعني استمرارية الرعاية العقلية من قبل الفرد المسلم، فهو في حالة حراك دائم ليرتقي بذاته من مستوى عقلي (مستوى السواء)، إلى مستوى أعلى أهم، وكذلك فهو في حالة احتراز دائم من الانحدار في مستويات الانحراف العقلي، والولوج بها بشكل كلي، أو الولوج بأحدها بشكل جزئي. (الحكيم الترمذي، د. ت).

ومن النصوص التي تؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)**﴾ (طه: ١١٤)، قال النسفي: "{وَقُل رَّبّ زِدْنِى عِلْماً} بالقرآن ومعانيه، وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم" (Al-Nasafi, 1998, vol. 2, 385). وقوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)**﴾ (الحجر: ٩٩)، قال ابن كثير: "{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} –على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله (Ibn Katheer, 1997)، الأمر الذي يستدعي من الفرد المسلم السعي الدؤوب بغية المحافظة على الدرجة الصحية العقلية، وعدم الانحدار في هوّة الانحرافات العقلية، وما تفرزه من مآلات ضلالية مرفوضة.

كما ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)**﴾ (آل عمران: ١٩١)، وعليه فيلحظ إطراد العقلية المسلمة، والشخصية المؤمنة من عملياتها الفكرية، على الرغم من مطالعتها للمشاهد الكونية المتكررة؛ سواء أكان ذلك على الصعيد الآفاقي أم على الصعيد النفسي، ولا غرو إذ إن الاضطلاع بمثل هذه المنهجية المتجددة في المطالعات الفكرية، إنما يجسد عبادة جليلة وجسيمة، تفتقر إليها الكثير من العقليات والنفسيات التي تنضوي تحت راية الإسلام.

الخاتمة.

أولًا: النتائج:

توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج، يمكن بيانها في الآتي:

- تعبر الأهمية الذاتية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي إلى الأهمية الذاتية للصحة العقلية عن تأثير السلامة العقلية على ذات الفرد وكينونته، حيث تتأثر الذات الإنسانية بتحقق الصحة العقلية في التصور التربوي الإسلامي، سواء أكان ذلك على صعيد الحياة الدنيا وحُسن التزكية الفردية عبر الأهمية النفسية، وكذلك على صعيد الحياة الآخرة وحُسن الجزاء عبر الأهمية الجزائية.
- تُعنى الأهمية الممتدة للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي بالأهمية المجتمعية للصحة العقلية عبر تأثير البنية العقلية السليمة على صحة المجتمع برمّته، على اختلاف تجمعاته الأسرية، والتعليمية، والدينية، والإعلامية، وسواها من تنظيمات اجتماعية، وكذلك الأهمية الحضارية عبر تأثير العقل السليم في قيام الحضارات ونهضتها.
- تُمثل محددات الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي منظومة العوامل المنهجية التي تؤطر الصحة العقلية، وتضبط حركتها ومسارها وفق ما أقرّته النصوص الشرعية الأصيلة، والتي تنحصر في المحددات المعيارية، والمحددات التأثيرية، والمحددات الوصفية.
- تتجلى المحددات المعيارية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي في معيار الإقرار الشرعي، ومعيار الاطراد التوظيفي، ومعيار الامتداد التأثيري.
- تنحصر المحددات التأثيرية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي في محدد الوراثة، ومحدد البيئة على اختلاف أنواعها الإيمانية والجغرافية والاجتماعية والنفسية.
- تعبر المحددات الوصفية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي عن مجموعة الصفات والخصائص التي تجسد هوية الصحة العقلية، والتي تتبدّى منحصرة في النسبية، والتكاملية، والتراتيبية، والإمكانية، والاستمرارية.

ثانيًا: التوصيات:

توصي الدراسة في ضوء النتائج السابقة بالآتي:

- توجيه الباحثين في الدراسات النفسية الإسلامية إلى إجراء المزيد من الدراسات العلمية حول المحددات المعيارية للصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، عبر التوسّع في محاورها.
- توجيه الباحثين في الدراسات النفسية الإسلامية إلى إجراء المزيد من الدراسات العلمية حول محددات البيئة وأثرها في تحقيق الصحة العقلية.
- عقد دورات تدريبية للعاملين في مراكز التوجيه والمعالجة النفسية؛ لإجادة توظيف محددات الصحة العقلية وفق المنظور التربوي الإسلامي.
- عقد دورات توعوية للقائمين على المؤسسات التعليمية والاجتماعية كالمدارس والجامعات؛ للتوعية بأهمية الصحة العقلية في المنظور التربوي الإسلامي، والعكوف على المحددات التي تساهم في تركيزها لدى الفرد المسلم.

References:

1. Abdul Ghaffar. p. (1980). An Introduction to Mental Health, Cairo, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Dr.
2. Abu Hatab. F. (1986). Mental Abilities, Egypt, Anglo-Egyptian Library, 5th edition.
3. Abu Saud. M. M. (D.T). Guiding the Right Mind to the Advantages of the Holy Book, Beirut, Dar Revival of Arab Heritage.
4. Ahmed. (2002). "American culture is a threat to mental health", Islamic Awareness Journal, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, S. 39, P. 438.
5. Al-Hakim Al-Tirmidhi. M. P (D.T) Mind and Desire, Dar Al-Furqan, 1st edition.
6. Ali and his patience. u. a. (2004). Mental Health and Psychological Adjustment, Egypt, University Knowledge House, 1st edition.
7. Al-Maraghi. A. M. (1946). Interpretation of Al-Maraghi, Mustafa Babi Al-Halabi Press, 1st edition.
8. Al-Razi. M. p. (1999). Keys to the Unseen, Beirut, Dar Revival of Arab Heritage, 3rd edition.
9. Al-Shawkani. M. p. (1993). Fath al-Qadeer, Beirut, Dar Ibn Kathir, 1st edition.
10. Al-Zahrani. a. p. (2011). "Ibrahim bin Abdullah, Intellectual Security: Its Concept, Importance, and Fields", Journal of Security Research, Prince Fahd Security College, Saudi Arabia, Vol. 20, p. 50.
11. Awamra. N. M. (2015). "Intellectual Security in the Prophetic Sunnah: An Analytical Study", Scientific Journal of the Faculty of Arts, Assiut University, Egypt, p. 56.
12. Benhamada. s. (2014). "Mental and psychological health in Morocco and Andalusia during the Middle Ages, historical studies", Basra Center for Research and Consultation, p. 3.
13. Carpenter. P. (2020). "Abd al-Majid, Intellectual Education from an Islamic Perspective", Journal of Contemporary Islamic Thought, International Institute of Islamic Thought, Jordan, Vol. 25, p. 99.
14. DSi. M. C. (2000). Jami' Al-Bayan in the Interpretation of the Qur'an, investigation: Ahmed Shaker, Beirut, Al-Risala Foundation, 1st edition.
15. El Shaarawy. M. M. (D.T). Interpretation of Al-Shaarawy, Akhbar Al-Youm Press.

16. Esawy. P. (1992). In Psychological and Mental Health, Beirut, Dar Al-Nahda, 1st edition.
17. Ghafri. P. S. (2018). "Thinking and Emotion in the Perspective of Neurological and Cognitive Sciences", Journal of Educational and Psychological Sciences, National Research Center in Gaza, Palestine, Vol. 2, p. 28.
18. Goodness. R. S. (2021). "Mental health in the Islamic educational heritage", an unpublished doctoral thesis, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Yarmouk University, Jordan.
19. Ibn Ashour, M. I. (1984). Liberation and Enlightenment, the Tunisian Publishing House, Tunis, 1st edition.
20. Ibn Attia. p. G, (1422). Al-Moharir Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz, investigation: Abdul Salam Muhammad, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition.
21. Ibn Hajar Al-Asqalani, A. P. (1957). Fath Al-Bari, Explanation of Sahih Al-Bukhari, Beirut, Dar Al-Maarifa.
22. Ibn Kathir. A. P. (1998). Interpretation of the Great Qur'an, investigation: Muhammad Shams al-Din, Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st edition.
23. Ibn Manzoor. M. M. (1992). Lisan Al-Arab, Beirut-Lebanon, Dar Sader, 3rd Edition.
24. Immunity. M. P. (D.T). Mind and invention, D. M, Nasser Foundation for Culture, 1st edition.
25. Ismael. F. A. (1993). The Qur'an and Rational Consideration, Virginia, International Institute of Islamic Thought, United States of America, 1st edition.
26. Khalil. P. (D.T). The Muslim Mind and Civilizational Vision, Saudi Arabia, Dar Al-Haramain for Publishing, 1st Edition.
27. Kilani. M. P. (1987). Philosophy of Islamic Education, Saudi Arabia, Dar Al-Manara, 1st edition.
28. Mahdi. R. X. (2020). "Gender Differences in Mental Health", Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences, Emirates College for Educational Sciences, UAE, p. 58.
29. Mercy. M. P. (2015). "The Islamic Approach to Achieving Mental Health", African Islamic Center, International University of Africa, p. 29.
30. Fahmi. M. (1995). Mental Health: Studies in the Psychology of Adaptation, Cairo, Al-Khanji Press, 3rd Edition.
31. Noura and Bardisi. N. M. (2019). "Awareness of the concept of domestic violence and its repercussions on mental health from a social perspective: an applied study on female students of Princess Noura bint Abdul Rahman University", Journal of Social Work Egypt, p. 62, vol. 5.
32. Kilani. M. p. (D.T). Objectives of Islamic Education, Dar Al-Qalam, 1st Edition.
33. Omari. H. P. (2018). Knowledge Theory in the Prophet's Sunnah and Its Educational Applications, Jordan, Dar Al-Furqan, 1st Edition.
34. Oval. P. P. (1997). Lights of Revelation and Secrets of Interpretation, investigation: Muhammad Al-Maraachli, Beirut, Dar Revival of Arab Heritage, 1st edition.
35. Qutub. S. (1968). In the Shadows of the Qur'an, Cairo, Dar Al-Shorouk, 32nd edition.
36. Qusi. P. (1952). Foundations of Mental Health, Cairo, Egyptian Renaissance Library, 4th edition.
37. Ragheb Al-Isfahani. H. F. (D.T). Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, investigation: Safwan Al-Dawoody, Beirut, Dar Al-Qalam.
38. Saadi. P. N. (2000). Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan, investigation: Abdul Rahman Al-Luwayhaq, Al-Risala Foundation, 1st edition.
39. Saeed, J. (1984). Until They Change What Is in Themselves, Damascus, Zaid bin Thabit Press, 6th edition.
40. Sermon. P. M. (2020) Islamic Educational Theory, Egypt, Dar Al-Iman, 1st edition.
41. Shabby. N. (2018). "Mental illnesses, the treatment arrangement and the family's care for its patient", Al-Hikma Journal for Social Studies, p. 13.
42. Tawfiq. M. P. (2002). The Islamic Rooting of Psychological Studies, Cairo, Dar al-Salam, 2nd edition.
43. Aysar. T. (1959). "The concept of mental health in history", the Egyptian Historical Journal, Egypt, Vol. 8.
44. Al Baghawi, M. (1997). Tafsir Al-Baghawi, investigation: Al-Nimr and others, Dar Taibah for publication and distribution, 4th edition.
45. Zahran. H. (2005). Mental Health and Psychotherapy, Cairo, World of Books, 4th edition.
46. Zain. S. P. (1991). Knowing the Human Soul in the Book and the Sunnah, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Lebanese, Volume 1, Edition 1.
47. Zamakhshari. M. P. (1986). The Scout for the Realities of the Mysteries of Revelation, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 3rd edition.
48. Zoubi. M. A. (2017). "Developing a measure of mental health and revealing the factors influencing it from an Islamic educational perspective", unpublished doctoral thesis, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Yarmouk University, Jordan.
49. Al Hayani. S. B. (2011). Mental Health and Islamic Psychotherapy, Amman - Jordan, Safaa Publishing House, 1st Edition.
50. shabeb. N. F. (1991). "Education related to mental health", Teacher's Message Journal, Educational Planning and Research Department, vol. 32, p. 3.
51. Al-Daghshi, A. (2001). "Epistemology in the Holy Qur'an and its educational applications", Amman, International Institute of Islamic Thought, 1st edition.

52. Ali, S. A (1987). Knowledge Issues, Tunisia, Arab Educational and Cultural Organization, d.
53. Al-Qaradawi. J. (1996). Mind and Science in the Holy Qur'an, Cairo, Wahba Library, 1st Edition.
54. Al-Qurtubi, M. A. (1964). Al-Jami' for the Provisions of the Qur'an, investigation: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfayyesh, Cairo, Dar Al-Kutub, 2nd edition.
55. Alwan. A. H. (2012). "Mental Health in Islam: A Comparative Educational Study", Unpublished Master's Thesis, College of Sharia and Islamic Studies, Yarmouk University, Jordan.
56. Alwan. P. A. (2012). Raising the Human Brain and Teaching Thinking, Jordan, Dar Safaa for publishing, 1st edition.
57. Bukhari, M. A. (2001). Sahih Al-Bukhari, investigation: Muhammad Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, 1st edition.
58. Hanaysha. P. M. (2009). "Thinking and its development in the light of the Holy Qur'an", master's thesis, Faculty of Fundamentals of Religion, An-Najah National University, Palestine.
59. Jaws. F. M. (2012). "Mental Education in the Prophet's Sunnah: Sahih Al-Bukhari as a Model", Unpublished PhD Thesis, College of Education, Omdurman University, Omdurman-Sudan.
60. Sharett and Mohammed. H. M. (2002). Mental Health between Theory and Practice, Alexandria, the modern university office, 1st edition.
61. Taha. F. P. (1989). Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, Faraj Abdel Qader, Beirut, Dar Al-Nahda for Printing, 1st edition.